مقياس: الدراسات الثقافية

المحاضرة رقم 01

الثقافة، الإيديولوجيا والهيمنة:

تتناول هذه المحاضرة مفاهيم أساسية في النقد الثقافي والإعلامي. في النظريات التي سنتطرق لها، تبرز الثقافة دوما في وضعيات تاريخية محددة، لخدمة مصلح اقتصادية واجتماعية خاصة.، وأداء وضائف اجتماعية مهمة.

بالنسبة لماركس وإنجلز، تخدم الأفكار الثقافية لعصر ما مصالح الطبقة الحاكمة، مقدمة وموفرة إيديولوجيات تشرعن – تعطي الشرعية- سيطرة الطبقة. في عمل غير منشور موسوم بالإيديولوجيا الألمانية 1945 the german ideology يقدم ماركس و إنجلز لأول مرة نظريتهما المادية للتاريخ ، حيث يطرحان تصورا مفاده أن المصالح المادية والصراعات الطبقية تمثل القوى الحاكمة والمحددة لمجرى التاريخ – في مقابل أعمال الأشخاص، الأفكار، القوى الثقافية، مهما عظمت أو الأحداث السياسية مثل الانتخابات أو الحروب.

تتجلى القاعدة الاقتصادية للمجتمع بالنسبة لماركس وإنجلز في قوى وعلاقات الإنتاج والتي تتشكل وتبنى فيها الثقافة ولاإيديولوجيا لتأمين سيطرة الجماعات الاجتماعية الحاكمة. يعتبر نموذج " القاعدة/ البنية الكلية base/superstructure" المؤثر هذا الاقتصاد القاعدة أو الأساس للمجتمع، وأشكال الحياة الثقافية، القانونية، السيايسية وغيرها من أشكال الحياة بمثابة البنى الكلية–superstructures – والتي تنشأ من كما تعمل على إعادة إنتاج القاعدة الاقتصادية. عمل كثير من المنظرين على بلورة هذا النموذج ومتابعته، مراجعته، وحتى معارضته، محاولين التنظير ، مثلا، لكيفية اشتغال الثقافة والإعلام، بشكل أدق، في المجتمعات والحياة المعاصرة.

بالنسبة للمنظر الماركسي الإيطالي، أونتونيو غرامشي Antonio Gramsci تشكل القوى الفكرية والثقافية الحاكمة في عصر ما شكلا من الهيمنة، أو سيطرة بواسطة الأفكار أو الأشكال الثقافية والتي تبعث على قبول حكم وسيادة الجماعات الحاكمة في مجتمع ما. من كتابه مفكرات السجن Prison Notebooks يضرب غرامشي مثالا عن الفاشية الإيطالية يوضح مفهوم الهيمنة، والذي يتم فيه استبدال النظام البرجوازي

السابق في إيطاليا بآخر يحكم القبضة على الدولة ويمارس تأثيرا، في الغالب قمعي، على المدرسة، الإعلام، وغيرها من المؤسسات الثقافية، الاجتماعية، والسياسية. وقد سجن غرامشي نفسه جراء موقفه من نظام موسوليني الفاشي، وأثناء تواجده بالسجن قام بكتابة نقد عن الطرق التي بواسطتها أصبحت الفاشية القوة الحاكمة في إيطاليا، وهو تحليل بلور من خلاله شروحا عن كيفية بلوغ جماعات اجتماعية ومؤسسات حاكمة لمستوى السيطرة أو الهيمنة.

عرف غرامشي الإيديولوجيا بوصفها الأفكار الحاكمة أو السائدة والتي تقدم الإسمنت الاجتماعي الذي يوحد و يعمل على تماسك النظام الاجتماعي المسيطر. وقد وصف " فلسفة القيم Phiosophy of Praxis" خاصته كطريقة تفكير في مقابل الإيديولوجيا، والتي تشمل، ضمن أمور أخرى، تحليلا نقديا للأفكار الحاكمة.

في عمل آخر يشير غرامشي أنه في أيامه كانت الصحافة الأداة الأساسية لإنتاج الشرعية الإيديولوجية للمؤسسات القائمة والنظام الاجتماعي، ولكن عدة مؤسسات على غرار الكنيسة، المدرسة، وكثير من الجمعيات والجماعات لعبت أيضا دورا. واقترح بلورة نقد لهذه المؤسسات والإيديولوجيات التي شرعنتها، مرفوقا بإبداع مؤسسات مضادة وأفكار يمكنها خلق بدائل للنظام القائم.

طور أعضاء من معهد البحوث الاجتماعية، القائم ابتداء بفرانكفورت بألمانيا في العشرينيات، طوروا أول منظورات نقدية عن الثقافة الجماهيرية والاتصال في دراساتهم الشهيرة عن الصناعات الثقافية. تحليل ت.و. أدورنو للموسيقى والثقافة الشعبيتين(1932، 1941، 1978، 1982، 1989، 1991)، دراسات ليو لوانثال للديماغوجيين الشعبين، والأدب الشعبي ،والمجلات الشعبية(1949، 1957، 1961) ، والمنظورات والانتقادات المبلورة من طرف أدورنو وهوركهايمر في دراستهما الشهيرة عن الصناعات الثقافية(1972، وأدورنو 1991) توفر أمثلة كثيرة عما أصبح يعرف لاحقا بمقاربة "مدرسة فرانكفورت".

بصفتهم ضحايا للفاشية الأوربية، خبر أعضاء معهد البحوث الاجتماعية بشكل مباشر طرق استعمال النازية لوسائل الثقافة الجماهيرية لتحقيق الخضوع للمجتمع والثقافة الفاشيين. و أثناء المنفى في الولايات المتحدة، خلصت المجموعة إلى اعتقاد مفاده أن الثقافة الإعلامية الأمريكية أيضا على درجة كبيرة من التأدلج(جد إيديولوجية)، وتعمل لترويج مصالح رأسمالية الولايات المتحدة. تبعا لوقوعها في يد الشركات

العملاقة، يتم تنظيم الصناعات الثقافية وفقا لبنية الإنتاج الكمي الهائل، والذي يفرز منتوجات بكم هائل – دونما اعتبار للنوعية– وهو ما يتولد عنه نظام ثقافي تجاري بامتياز، والذي بدوره يبيع القيم، نمط الحياة، ومؤسسات الرأسمالية الأمريكية.

وفر عمل مدرسة فرانكفورت ما دعاه لازارسفيلد، وهو أحد أهم أعمدة الدراسات الاتصالات الحديثة، مقاربة نقدية، و الذي ميزها عن "البحوث الإدارية" التي تخدم مصالح الشركات والمؤسسات المسيطرة. آراء كل من أدورنو وليو لوانثال وغيرهما من أعضاء الدائرة الضيقة لمعهد البحوث الاجتماعية جرى معارضتها من طرف المنظر والتر بنيامين، عضو متميز –وإن كان غريبا نوعا ما– ينسب على نحو غير وثيق بالمعهد. ميز بنيامين، الذي كان يكتب في باريس في الثلاثينيات، بين الجوانب التقدمية في التكنولوجيات الجديدة في الإنتاج الثقافي: التصوير الفوتوغرافي ، الفيلم والراديو. في "عمل الفن في عصر إعادة الإنتاج الميكانيكي(1969)the work of art in the age of mechanical reproduction "، أشار بنيامين لكيف تزيح وسائل الإعلام الجماهيرية الجديدة لأشكال ثقافة الأقدم لتحل محلها، حيث يحل الإنتاج الكثيف والمستمر للصور الفوتوغرافية، الفيلم، التسجيلات(الكاسيت وغيره)، المنشورات،...يحل هذا الإنتاج الكثيف محل التأكيد على الأصالة (originality) وتفرد وسحر الأعمال الفنية في زمن سابق. متحررا من أسرار وسحر الثقافة الراقية، اعتقد بنيامين أن الثقافة الجماهيرية يمكنها تثقيف (غرس أفكار) وتأهيل أشخاص نقديين أكثر وجعلهم قادرين على تقييم وتحليل ثقافتهم، بنفس القدر الذي يستطيع أنصار الرياضات تشريح وتقييم النشاطات البدنية. بالإضافة إلى ذلك، لدى تأمله ومعالجته زخم وغزارة الصور السينمائية المنتجة، خلص بنيامين إلى اعتقاد أن الانطباعات والصور الذاتية المكونة أقدر على التصدي لمزيج وبلبلة التجربة واستيعابها في المجتمعات الحضرية الصناعية.

وبصفته نفسه متعاونا مع الفنان الألماني غزير الإنتاج بيرتولت بريشت Bertolt Brecht ، عمل بنيامين مع بريشت على الأفلام، المسرحيات الإذاعية، وحاولا استخدام وسائل الإعلام كأجهزة للتقدم الاجتماعي. في إسهامه الموسوم "الفنان كمنتج(1934) The Artist as Producer" جادل بنيامين أن المبدعين الثقافيين التقدميين يجب أن " يعيدوا توظيف جهاز الإنتاج الثقافي ،فيعملوا مثلا على تحويل الفيلم والمسرح إلى منتدى للتنوير والنقاش السياسيين بدل مجرد وسائل لترفيه الجمهور ببرامج الطبخ. كتب كل من بريشت وبنيامين مسرحيات إذاعية كما كانا مهتمان بالأفلام كوسيلة للتغيير الاجتماعي التقدمي. في عمل عن نظرية

الراديو، استبق بريشت الأنترنت بدعوته إلى إعادة بناء جهاز البث من نقل في اتجاه واحد إلى اتصال تفاعلي في الاتجاهين، أو أكثر- شكل تجسد ابتداء في راديو CB ، ثم لا حقا في الاتصال الإلكتروني عبر الحواسيب.

فوق ذلك، أراد بنيامين تطوير سياسة ثقافية وإعلامية راديكالية مع نمو ثقافات معارضة بديلة. إلا أنه أقر أن وسائل الإعلام مثل الفيلم يمكن أن يكون لها تأثيرات محافظة. بينما اعتبر أمرا تقدميا فقدان الأعمال المنتجة بكثافة لزخمها وجاذبيتها، وقوتها السحرية، كما أنها كانت تعرض منتجاتها الثقافية تلك لمزيد من النقاش النقدي والسياسي، اعترف أن الفيلم يمكن أن يخلق نوعا جديدا من السحر أو الجاذبية الإيديولوجية من خلال الهوس الشديد بالشهرة وتقنيات مثل الصور المكبرة أو البوستيرات العملاقة(close-up) التي تخلع شيئا من السحر على بعض النجوم أو الصور بواسطة تكنولوجيا السينما. هكذا تبرز أهمية عمله أيضا في تركيزه على تكنولوجيا الإنتاج وإعادة الإنتاج الثقافي، إذ رأى التغييرات في التقنيات الإعلامية الجديدة، وقام بنقد سياسي مع دعوته لتحول ديمقراطي لتكنولوجيا والمؤسسات الإعلامية.

قام كل من ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو بالرد على تفاؤل بنيامين في تحليل جد مؤثر للصناعة الثقافية منشور في كتابهما " جدل التنوير The dialectic of Enlightenment" الذي صدر في 1948 وترجم إلى الإنجليزية في 1972. وقد جادلا أن نظام الإنتاج الثقافي الواقع تحت سيطرة الفيلم، البث الإذاعي، الصحف، المجلات، يتم التحكم فيه بواسطة الإشهار والمقتضيات التجارية، وتعمل على تكريس الخضوع للنظام الرأسمالي الاستهلاكي. بينما نعتت بعض الانتقادات اللاحقة مقاربتهما بالجد مغرضة، والاختزالية، والنخبوية، يجدر التنويه أن هوركهايمر وأدورنو جمعا بين تحليل نظام الإنتاج، التوزيع والاستهلاك الثقافي ومن جهة، وتحليل بعض أنواع نصوص الصناعات الثقافية الأخرى، وهكذا قدما نموذجا لطريقة نقدية ومتعددة الأبعاد للنقد الثقافي، نموذج يتجاوز الانقسام والاختلاف بين المقاربات التي تركز فقط على الاقتصاد السياسي، النصوص، أو الجماهير.

في مقال عن الفضاء العمومي نشر في موسوعة، يلخص المنظر الاجتماعي الألماني يورغن هابرماس الأفكار في كتابه المزلزل " التحول البنيوي للفضاء العمومي The structural Transformation of the Public Sphere". مع تقديمه لخلفية تاريخية لانتصار ما وصفه هوركهايمر وأدورنو بالصناعات الثقافية، سجل هابرماس كيف تميز المجتمع البرجوازي بنمو وبروز الفضاء العمومي، والذي انتصب بين المجتمع المدني والدولة

والذي لعب دور الواسطة بين المصالح الخاصة والعامة. في سابقة تاريخية، تمكن أفراد ومجموعات من تشكيل الرأي العام، تيسر لهم التعبير المباشر عن حاجاتهم ومصالحهم، ومؤثرين في نفس الوقت على الممارسة السياسية. جعل الفضاء العمومي البرجوازي ممكنا تشكيل فضاء للراي العام يقابل سلطة الدولة والمصالح القوية التي كانت في طريقها إلى المجتمع البرجوازي.

إلا أن هابرماس سجل التحول من الفضاء العمومي اللبرالي الذي يرجع أصله إلى التنوير والثورتين الأمريكية والفرنسية، التحول إلى فضاء عمومي تهيمن عليه وسائل الإعلام في العصر الحالي والذي سماه " رأسمالية دولة الرفاه والديمقراطية الجماهيرية welfare state capitalism and mass democracy" .هذا التحول التاريخي تم تقعيده أو تأسيسه في تحليل هوركهايمر وأدورنو للصناعات الثقافية ، حيث استحوذت شركات عملاقة على الفضاء العمومي وحولته من فضاء للنقاش العقلاني إلى أخر للاستهلاك الخادع والسلبية. في هذا التحول، انتقل "الرأي العام "من إجماع عقلاني ناتج عن حوار ونقاش وتفكير إلى راي تفبركه نتائج سبر الآراء وخبراء الإعلام.

في هذا التحليل، تم كسر الارتباط المتبادل بين فضاء النقاش العام والمشاركة الفردية، وتحويله إلى ساحة للتلاعب والاستعراض السياسيين، حيث يعمل المواطنون-المستهلكون على تناول وبلع مواد الترفيه والإعلام بشكل سلبي. وهكذا يصبح "المواطنون" متفرجون على تمثيلات وخطاب وسائل الإعلام، والتي تقوم بتحكيم (دور الحكم) الحوار العمومي، وهكذا تحيل جماهيرها وتختزلهم إلى مواضيع إخبارية وشؤون عامة.

تنزع انتقادات هابرماس إلى إصباغ المثالية على الفضاء العمومي البرجوازي الأسبق، مقدما له كفضاء للحوار والنقاش العقلاني بينما في الواقع عانت بعض المجموعات فيه من التهميش. بينما يفترض مفهوما الفضاء العمومي والديمقراطية احتفاء ليبراليا وشعبويا بالتنوع، التسامح، النقاش والإجماع، في الواقع، كان الفضاء العمومي البرجوازي واقعا تحت سيطرة الذكور البيض أصحاب الممتلكات. عملت انتقادات هابرماس على توثيق الفضاءات العمومية للطبقة العاملة، العامة والنساء المبلورة إلى جانب الفضاء العمومي البرجوازي لتمثيل أصوات ومصالح المهمشين في هذا المنتدى. هابرماس محق في كون أنه في زمن الثورات الديمقراطية برز فضاء عمومي حيث ولأول مرة في التاريخ يتمكن مواطنون عاديون من المشاركة في الحوار والنقاش السياسيين، وينظمون بل يتصارعون ضد السلطات الظالمة. تشير رواية هابرماس إلى الدور المتزايد الأهمية

لوسائل الإعلام في السياسة والحياة اليومية، وطرق احتلال مصالح الشركات لهذا الفضاء، مستخدمة الإعلام والثقافة لترويج مصالحها الخاصة.

قضية الإيديولوجيا كقوة احتلال(كولونيالية)موضوع بارز في عمل الفيلسوف الفرنسي لويس ألثوسير Louis Althusser ، و الذي كانت أفكاره جد مؤثرة في السبعينيات، خاصة في تشكيل الدراسات الثقافية البريطانية الأولى وعمل الماركسي البعد-ثقافي فريديريك جيمسون Fredric Jameson. كما أوضح ستيوارت هالStuart Hall (1978) : "تعتبر تدخلات ألثوسير و تطورها اللاحق جد معلمة و مثرية لميدان الدراسات الثقافية". استند ألثوسير على موجة البنيوية في فرنسا ما بعد الحرب، مازجا بين سيميوطيقا بارث، والأنثوبولوجيا البنيوية لليفي ستروس، نظرية التحليل النفسي، والماركسية المراجعة لبلورة تصور ل"لأيديولوجيا" يقوم على مفهوم تكوين اجتماعي مشكل من الممارسات الاقتصادية، الاجتماعية، والإيديولوجية.

بالفعل، يعتبر ألثوسير هو من حول النقاش حول "الإيديولوجيا" ليتركز على الممارسات اليومية والطقوس المنظمة عبر المؤسسات الاجتماعية التي عينها ك" جهاز الدولة الإيديولوجي"(المدرسة، الدين، الاسرة، وسائل الإعلام، وغيرها). وجادل بأن هذه الممارسات المغلقة هي جزء من نظام مغلق يتنادى فيه الأفراد إلى نظام اجتماعي، حيث يصيرون-برفع الياء الأولى وتشديد الأخيرة- رعايا عن غير وعي من طرف الخطابات والمؤسسات الاجتماعية المسيطرة. يبرز إسهامه الأكثر مقروئية " الإيديولوجيا وأجهزة الدولة الإيديولوجية Ideology and Ideological State Apparatuses" افتراضه الأساس أن التجربة، الوعي، والذاتية ذاتها هي نتاج علاقة خيالية بين الفرد وظروف عيشه الحقيقية، علاقة تشيء(تحيله شيئا) التراتبات الاجتماعية، وتحث الأفراد على قبول أنظمة القمع. كما يخط بقلمه:"كل إيديولوجيا لها وظيفة(وهو ما يعرفها) أن تشكل من أفراد حقيقيين رعايا (لا كمواطنين في الأصل)".(ألثوسير، 1971، ص،171).

بجانب المنظرين والنظريات والجماعات المتنوعة التي ذكرنا ظهرت أخريات كثيرة ومتنوعة حللت التشكيلة الحالية للثقافة، الإيديولوجيا والهيمنة، كما أن المواقف المذكورة تطورت في اتجاهات عديدة ومتنوعة، وتعرضت للنقد والمعارضة بشكل حاد بالتزامن مع بروز تيارات وحركات سياسية ونظرية جديدة إلى الواجهة. وعليه، بينما ظهرت الدراسات الثقافية والإعلامية النقدية في الستينيات في فترة تميزت بتأثير هائل للماركسية، نزعت

التطورات النظرية اللاحقة إلى معارضة المواقف الماركسية وإلى بلورة مقاربات شديدة التنوع نحو الثقافة ووسائل الإعلام.

مقياس: الدراسات الثقافية

المحاضرة رقم 02

الحياة الاجتماعية والدراسات الثقافية:

يتم إنتاج الثقافة واستهلاكها ضمن حياة اجتماعية. وعليه، يجب أن يحدد موضع مواد ثقافية ما أو ممارسات ثقافية ما ضمن العلاقات الاجتماعية للإنتاج والتلقى والتي ضمنها يتم إنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها من أجل فهم وتفسير صحيحين لها.فتحديد وتعيين السياق الذي تنتج فيه الاشكال الثقافية وجمهورها في وضعيات تاريخية خاصة يساعد على تبيين كيف تعكس المواد الثقافية \او تعيد إنتاج علاقات أو ظروف اجتماعية حقيقية _أو تعارضها وتحاول تغييرها.

بعد الحرب العالمية الثانية، ظهر المجتمع الاستهلاكي في كل الدول الغربية. فبينما عملت الشركات الأمريكية الأساسية على تطوير أنظمة أنتاج واستهلاك على نطاق واسع في العشرينيات من القرن الماضي، والتي عرفت ظهور وصعود الصناعات الإعلامية على غرار البث الإذاعي، الإشهار و النشر الجماهيري لترويج السلع الاستهلاكية، حال الكساد الاقتصادي في الثلاثينات ومن بعده الحرب العالمية الثانية دون تأسيس المجتمع الاستهلاكي.

كما لا حظنا فيما سبق، كانت مدرسة فرنكفورت، في منفاها آنذاك في المنفى، من بين أول من نظر لهذا التشكيل الجديد للمجتمع والثقافة في نقدهم للصناعات الثقافية ، الدور الإدماجي للمجتمع الجماهيري الاستهلاكي، والقيم الجديدة وبنى الشخصية التي كانت بصدد التبلور.بنهاية الخمسينيات، كان المنظرون في كل الدول الرأسمالية المتطورة يطرحون نظريات عن الاستهلاك، وسائل الإعلام، والظروف المتغيرة للحياة اليومية وذلك للاستجابة للتغيرات والتحولات في المجتمع الإعلامي والاستهلاكي.

في الولايات المتحدة الأمريكية، قامت بحوث التسويق التابعة للشركات الكبيرة ووكالات الإشهار ببحث جماهير وسائل الإعلام، وتمخض عن هذه العملية ظهور نموذج من دراسات **الاتصال الجماهيري**.

بدأ بول لا زارسفيلد وزملاؤه في معهد بحوث الإذاعة ببرنستون– والذي كان يضم عضو مدرسة فرانكفورت تيودور أدورنو– ببحث أي منم البرامج يقبل عليها الجمهور بانتظام، وعكفوا على دراسة أذواق الجمهور،

وبناء عليه عملوا على نصح المؤسسات بخصوص اتجاهات المستهلك وأي من البرامج أولى بالبث على افتراض أنها ستحوز على أكثر شعبية.وعليه، ظهرت بحوث الاتصال الجماهيري كمنتوج ثانوي لبحوث المستهلك في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، موجدة لتقليد بحثي إمبريقي لأشكال الاتصال والثقافة القائمة.

بموازة ذلك، أطلق التحديث السريع في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية ونشوء مجتمع الاستهلاك فيها في الخمسينيات نقاشا كبيرا، و أسهم في تشكيل كم متنوع من الخطابات حول وسائل الإعلام والمجتمع الاستهلاكي في فرنسا، ملهما كلا من رولان بارث، هنري لافابفر، غي ديبور و جون بودريارد وبعضا من معاصريهم لبلورة تحاليل جديدة لأشكال الثقافة و المجتمع الجديدة. كان واضحا أن المجتمع الاستهلاكي كان يضاعف صور و عروض(spectacles) وأشكال ثقافية و أنماط حياتية جديدة. حاول المنظرون الرواد الفرنسيون في تلك الفترة تفسير وفهم– وفي كثير من الأحيان– انتقاد كل جديد في تلك الفترة.

طبق رولان بارث نظريات البنيوية والسيميولوجيا الناشئة لمحاولة فهم توسع الثقافة الإعلامية ووظائفها الإعلامية المهمة. تم تطوير البنيوية قي خمسينيات القرن الماضي من قبل عالم الانثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي ستروس، لتحديد البنى الأساسية للثقافة والمجتمع. أما السيميولوجيا، التي أبدعت في وقت سابق من القرن من قبل عالم اللسانيات السويسري فرديناند دو سوسير فعملت على تحليل قواعد، شفرات، وممارسات الخطاب المستعمل. في نظر بارث، تفترض السيميولوجيا أن المجتمع والثقافة هما بمثابة نصوص يمكن تحليلها لتبين بناها، معانيها، وتأثيراتها.في كتابه الاساطير(MYTHOLOGIES)، استخدم بارث كلا المنهجين لتحليل الشفرات والمعاني الكامنة في مواد الثقافة الشعبية والتي تمتد من المنازلات إلى ومضات الإشهار للمسلسلات وذلك لتفكيك وظائفها الاجتماعية.عملت الأساطير التي درسها بارث على تطبيع وتخليد(أي ديمومة) أشكال الثقافة السائدة لدى البرجوازية الفرنسية التي قام بتحليلها.في روايته الشهيرة لصورة جندي إفريقي أسود يقوم بتحية العلم الفرنسي، يذهب بارث أن الصورة تمحو أهوال الإمبريالية ، مقدمة بورتريه ملائكي لجندي فرنسي تظهر في مظهر الطبيعي(زيفا وكذبا) وجوب أن يحيي جندي إفريقي العلم الفرنسي، بل وتجعل من ذلك معيارا للسلوك العسكري.

مقاربة تاريخية وثقافية أخرى جد مختلفة لدراسة وسائل لإعلام والثقافة تم تطويرها في أمريكا الشمالية في الخمسينيات والستينيات من قبل مارشال ماكلوهان. ففي كتابه المميز والمؤثر **فهم وسائل الإعلام**

(understanding media)وصف ماكلوهان تحولا باراديغميا من الثقافة المكتوبة الاسبق إلى ثقافة الإعلام الجديد(الإذاعة والتلفزيون في زمنه). فبينما أنتجت الثقافة المكتوبة – حسبه– اشخاصا فردانيين متعلمين وعقلانيين، يعتمدون الشكل المنطقي والخطي لوسائل الإعلام المكتوبة في التفكير والاستدلال، بالمقابل أنتجت الثقافة الإعلامية المنتشرة – في زمنه– أفراد غير عقلانيين أكثر تشضيا مغمورين في سيل المرئيات والمسموعات والعروض الجارف لوسائل الإعلام مثل الفيلم، الراديو، والتلفزيون والإشهار. الثقافة الإعلامية الجديدة، حسب ماكلوهان *قبلية* تنشر أفكارا و سلوكات جماعية. كانت تولد ثقافة ووعيا عالميا متناميا مفضيا حسبه إلى تجاوز التوجهات الفردانية والوطنية السائدة في الفترة الحديثة السابقة.

استحث ماكلوهان جيلا بأكمله ليأخذ وسائل الإعلام على محمل الجد باعتبارها فاعلا نشطا في تغيير تاريخي أساسي، والثقافة الإعلامية بوصفها ميدانا مهما للدراسة. في عمله المزلزل،** مجتمع العرض**(أو الاستعراض) (society of spectacle)، وصف غي ديبور انتشار السلع والتراكم الهائل للعروض اتسم بها المجتمع الاستهلاكي الجديد. سلع من مختلف الأنواع ومحلات عملاقة تعرض وفرة مدهشة من الأشياء للبيع والتي بدورها تحضى بإشهار و احتفاء في حملات إعلانية تشيد وتبرز الجوانب الاستهلاكية المغرية لها و تخلع عليها حلة ساحرة. في تصور ديبور تمثل وسائل الأعلام ذاتها عروضا (spectacles)، مثال ذلك محطة MTV وما تبثه من من توليفة ساحرة من فيديوهات موسيقية، وإشهارات ومقاطع متواصلة تعمل على تتبع واقتفاء ديناميكيات و تجاذبات الثقافة الشبابية المعاصرة. تقدم الافلام عرضا يتجاوز واقع الحياة سعة مشحونا بتأثيرات خاصة وصوت صاخبا.

مما سبق، يحيل مفهوم مجتمع العرض إلى وسائل الإعلام والمجتمع الاستهلاكي و الذي ينتظم متمحورا حول استهلاك الصور ، السلع و العروض. في أيامنا، مراكز التسوق، العروض السيبرية على النت(cyberspectacles)، أجهزة الواقع الافتراضي ومجالاته توسع فضاء العرض، موفرة تجليات جديدة وثيقة الصلة بتحليل ديبور. أكثر من ذلك، يحيل مجتمع العرض أيضا إلى الأجهزة المؤسساتية والتقنية الهائلة في مجتمعاتنا المعاصرة التي تنتج سلعا وأحداثا إعلامية. كما يمتد المفهوم ليشمل كل الوسائل والطرق التي تستعملها القوى الحاكمة ، عدا القوة المباشرة، لإخضاع الأفراد لتلاعب مجتمعي، مع الحرص على التعمية على طبيعة وآثار عمليات السيطرة والاستتباع. ضمن تعريف أوسع، النظام التربوي ومؤسسات الديمقراطية النيابية، والابتكارات اللامتناهية للسلع الاستهلاكية، الرياضات، الثقافة الإعلامية، الهندسة المعمارية الحضرية والريفية

وكل التصاميم تمثل مكونا رئيسا من مكونات مجتمع العروض.النظام المدرسي مثلا، يشتمل على الرياضات، الجمعيات، النوادي وكثير من الفعاليات والنشاطات والطقوس التي تبرمج الفرد وتجعله يستبطن الإيديولوجيات والممارسات المسيطرة. كما أن عالم الساسة المعاصر، حافل بل مشبع بالعروض، ابتداء من الصور العرضية اليومية مرورا بالأحداث الخاصة العالية التخطيط والتنظيم والتي تكسو سلطة الدولة بحلة درامية، وليس انتهاء بالإشهارات التلفزيونية و عمليات إدارة الصورة للمترشحين المصممين والمقولبين بعناية فائقة أثناء الحملات الانتخابية.

في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، أخذ العرض بعدا عالميا لدى غزو شركات مثل كوكاكولا، بيبسي، شركات السيارات العالمية، IBM و صناعات الكمبيوتر الصاعدة، ولاحقا ماكدونالدز، نايك، مايكروسوفت، آبل، وسائر منتجاتها العالم قاطبة. سجل كل من دورفمان وأرموند ماتلار رد فعل نشطاء العالم الثالث على تشبع ثقافة أمريكا اللاتينية بمنتجات شركة والت ديزني.في مقالهم المثير للجدل ** كيف نقرأ البطة دونالد**(how to read Donald Duck)، فقدموا تفكيكا نقديا لمختلف المعاني، الرسائل والإيديولوجيات الكامنة في مواد ثقافية تبدو لأول وهلة بريئة على غرار الكتب الفكاهية والرسوم المتحركة. شرح الكاتبان كيف تحفل مواد الفكاهة الشعبية بكم معتبر من من الصور والقصص التي تعمل على تطبيع الرأسمالية والإمبريالية، على نحو ما تفعله الأساطير التي قام بارث بنقدها في فرنسا. بنهاية الستينيات كانت المقاربات النقدية للمجتمع والثقافة تعم العالم.كل النظريات التي عرضناها لحد الان يمكن رؤيتها كنماذج للدراسات الثقافية والإعلامية. لكن مدرسة الدراسات الثقافية البريطانية والتي أصبحت ظاهرة عالمية على قدر كبير من الأهمية خلال عقود دشنت من طرف مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة بيرمنغهام سنة 1964.بقيادة مديره ريتشارد هوغارت، ثم خليفته ستيوارت هال،الذي أدار المركز من 1968 حتى1979،بلورت جماعة بيرمنغهام مجموعة ثرية من المقاربات من منظورات نقدية لتحليل، تفسير، نقد المواد الثقافية، تمزج بين النظرية الاجتماعية واعتبار العوامل السياقية بالإضافة إلى تحليل النصوص الثقافية.

ما تعتبر حاليا المرحلة الكلاسيكية للدراسات الثقافية البريطانية و الممتدة من بداية الستينيات حتى بداية الثمانينيات تبنت مقاربة نيوماركسية لدراسة الثقافة، أهمها تلك المتأثرة بألثوسر(Althusser) وغرامشي(Gramsci).بالرغم من جملة النقاشات الداخلية ، واستجابة لصراعات وحركات اجتماعية في الستينيات والسبعينيات، تركز عمل جماعة بيرمنغهام على التفاعل بين تمثيلات(repesentations)

وإيديولوجيات الطبقة، الجندر(الجنس)،العرق، الإثنية والجنسية في النصوص الثقافية، ومركزة خصوصا على الثقافة الإعلامية. كانوا من بين الأوائل ا لذين عكفوا على دراسة تأثير الجرائد، الراديو، التلفزيون، الفيلم والأشكال الثقافية الشعبية الأخرى على الجماهير. كما تناولوا كيف يعمل صنف من الجمهور بعينه على تأويل واستخدام ثقافة إعلامية بطرق متنوعة وفي سياقات مختلفة، محللين العوامل التي جعلت الجماهير تستجيب بطرق متفاوتة لنصوص إعلامية.

من البداية، رفضت الدراسات الثقافية البريطانية بشكل ممنهج التمييز بين الثقافتين الراقية(النخبة)/و الهابطة(الشعبية)، و | تناولت بشكل جدي مواد الثقافة التي تنتجها وسائل الإعلام. وهكذا تجاوزت النزعة النخبوية البارزة في المقاربات الأدبية المهيمنة للثقافة. كما تجاوزت الدراسات الثقافية البريطانية مفهوم الجمهور السلبي عند مدرسة فرانكفورت وذلك بتصورها لجمهور نشيط يبدع معاني.معيدة إنتاج حراك الجماعات المعارضة في الستينيات والسبعينيات، انخرط مركز بيرمنغهام في مشروع يهدف إلى نقد شامل للتشكيل الحالي للثقافة والمجتمع، ساعيا إلى ربط النظرية بالتطبيق لتوجيه الدراسات الثقافية نحو تحول اجتماعي أساسي.وضعت الدراسات الثقافية البريطانية ضمن نظرية للإنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي، محددة الطرق التي تعمل بواسطتها الأشكال الثقافية إما على ضبط اجتماعي أكبر، أو تساعد الأفراد على المقاومة.وقدموا تحليلا للمجتمع بوصفه مجموعة من العلاقات الاجتماعية التراتبية والمتناقضة تتصف باضطهاد كل من الطبقة، الجنس، العرق، الإثنية المستتبعة، وحتى الدولة المستتبعة على المستوى الدولي. وبتوضيف نموذج غرامشي للهيمنة والهيمنة المضادة سعت الدراسات الثقافية البريطانية لتحليل **ظاهرة الهيمنة** لقوى السيطرة الاجتماعية والثقافية، وتحديد موقع قوى المقاومة والاحتجاج المضادة للهيمنة.

كانت الدراسات الثقافية البريطانية تهدف إلى غاية سياسية ألا وهي التغيير الاجتماعي، غاية قد يعين تحديد مواقع قوى السيطرة والمقاومة ضمنها على تحقيق سيرورة التحول الاجتماعي. منذ البداية كانت جماعة بيرمنغهام متجهة صوب القضايا الأساسية في عصرهم ومحيطهم. يعود تركيزهم المبكر على الطبقة والإيديولوجيا على استشعار حاد للتأثيرات القمعية الممنهجة للطبقة في المجتمع البريطاني وحركات الستينيات التي قامت ضد اللامساواة و القمع الطبقيين. ركزت أعمال كل من Richard Hoggart, Raymond Williams, and Stuart Hallفي نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات ابتداء على قدرات ثقافة الطبقات العمالية. فيما بعد بدأوا في الستينيات والسبعينيات في الاحتفاء بإمكانيات ثقافات الشباب مقاومة اشكال

المهيمنة للسيطرة الرأسمالية. على خلاف مدرسة فرانكفورت الكلاسيكية (ولكن على نحو مماثل لهربرت ماركوزHerbert Marcuse)، نظرت الدراسات الثقافية البريطانية إلى ثقافات الشباب على أنها توفر أشكال مقاومة وتغيير اجتماعي واعدة. من خلال دراساتها للثقافات الجزئية الشبابية، أثبتت الدراسات الثقافية البريطانية كيف يتأتى للثقافة أن تشكل أشكالا متميزة من الهوية والانتماء واحتفت بإمكانيات المقاومة الكامنة في الثقافات الجزئية الشبابية المختلفة.

بلغت الدراسات الثقافية الإنجليزية مركز الاهتمام حول كيفية مقاومة الجماعات ذات الثقافات الجزئية مختلف أشكال الثقافة والهوية المهيمنة، مبتكرة هوياتها وأسلوبها الخاصة بها. فالأفراد الذين يمتثلون للألبسة، أساليب الخطاب، السلوكات، والإيديولوجيات المهيمنة ينتجون هوياتهم ضمن جماعات التيار العام، كأعضاء في جماعات اجتماعية خاصة(مثل الأمريكيين البيض المحافظين من الطبقة الوسطى). أما الأفراد الذي يلتزمون بثقافاتهم الجزئية، مثل جماعات البانك والهيب هوبpunk or hip hop فهي تفكر وتسلك على نحو مختلف عن نظيراتها في التيار العام، وبالتالي تخلق هويات معارضة ، تعرف نفسها على نحو يقابل ويضاد النماذج المعيارية.

ومع تطورها في السبعينيات والثمانينيات، تبنت الدراسات الثقافية البريطانية بالتدريج التحليلات الناشئة عن الجندر، العرق، الجنس ومجالا واسعا من النظريات النقدية. كما طورت طرقا لبحث ونقد كيف يعمل المجتمع والثقافة القائمين على ترويج وتطبيع التمييز ضد العرقي الجنسي(وضد المثليين تحديدا) وغيرها من اشكال القمع والتمييز– أو ساهمت في بعث مقاومة ضد السيطرة والظلم. تضمنت هذه المقاربة ضمنيا نقدا سياسيا لكل أشكال الثقافة التي تروج اضطهادا، وهذا بموازاة دعمها للنصوص والخطابات والتمثيلات التي تنتج نظاما اجتماعيا أكثر عدلا ومساواة.

كانت التطورات ضمن الدراسات الثقافية البريطانية في جزء منها ردا على احتجاجات من طرف كثير من الجماعات المختلفة التي أنتجت مناهج وأصواتا جديدة ضمن الدراسات الثقافية (مثل الدراسات النسائية، دراسات المثليين والمثليات، الاتجاهات المتعددة الثقافات، البداغوجيات النقدية، ومشاريع الثقافة الإعلامية النقدية). وعليه، كان مركز استناد الدراسات الثقافية البريطانية في لحظة زمنية يتحدد من خلال المعارك التي تشهدها المرحلة السياسية، كما أن عملها الأساسي نظر إليه بوصفه تدخلات سياسية. فقد وجهت دراسات الإيديولوجيا والسياسات الثقافية جماعة بيرمنغهام نحو تحليل المواد الثقافية، الممارسات الثقافية،

والمؤسسات ضمن شبكات السلطة القائمة. في هذا السياق، سعى هؤلاء لتبيين كيف توفر الثقافة في نفس الوقت أدوات وقوى للسيطرة من جهة، وموارد للمقاومة والمعارضة. اهتمت هذه الرؤية السياسية بتحليل تأثيرات الثقافة واستخدامات الجمهور للمواد الثقافية، والتي وفرت تركيزا عالي الخصوبة على الجمهور والتلقي، وهي المواضيع التي ظلت متجاهلة في أغلب المناهج السابقة المعتمدة على تحليل النصوص. غير أنه يبدو أن التطورات الأخيرة في الدراسات الثقافية أفقدتها قدرا غير يسير من تركيزها السياسي. وبنظرة فاحصة لتاريخ الدراسات الثقافية البريطانية يمكن القول أنها ظهرت في مرحلة متأخرة من الرأسمالية تلت مرحلة الدولة والرأسمالية المحتكرة التي حللتها مدرسة فرانكفورت بوصفها تشكيلا ثقافيا أكثر تنوعا، صراعية وعالمية. تمحورت أشكال الثقافة الموصوفة سلفا في الطور الأول للدراسات الثقافية في الخمسينيات والستينيات حول الظروف السائدة في فترة عرفت فيها إنجلترا وأوروبا توترا معتبرا بين ثقافة الطبقة العمالية التقليدية والثقافة الجماهيرية الناشئة التي تعتبر نماذجها وأمثلتها نتاج الصناعة الثقافية الأمريكية. المرحلة الألى من الدراسات الثقافية والتي برز فيها كل من Richard Hoggart, Raymond Williams, and E .P.Thopsonو الذين حاولوا الحفاظ على ثقافة الطبقة العمالية في مواجهة زحف الثقافة الجماهيرية التي تنتجها الصناعات الثقافية. تحقيقات تومسون مثلا في تاريخ معارك ونضالات ومؤسسات الطبقة العمالية الإنجليزية، دفاعات كل من ريشارد هوغارت وويليامز عن ثقافة الطبقة العاملة وهجومهم على الثقافة الجماهيرية كان جزءا من مشروع ذي توجه اجتماعي عمالي يرى في الطبقة العمالية الصناعية عاملا للتغيير التقدمي الاجتماعي قابل للتعبئة والتنظيم لمقاومة واقع اللامساواة الذي تفرضه المجتمعات الرأسمالية ومن ثم العمل على إرساء مجتمع أكثر مساواة. كان انخراط هوغارت وويليامز كبيرا في نشاطات توعية وتثقيف الطبقات العمالية، معتبرين شكل دراساتهم الثقافية كأداة للتغيير الاجتماعي التقدمي.

الانتقادات الأولية في الموجة الأولى من الدراسات الثقافية البريطانية للأمركة و الثقافة الجماهيرية من قبل هوغارد وويليامز ومركز بيرمنغهام عموما يوازيها إلى حد ما الانتقادات الأولى التي طرحتها مدرسة فرانكفورت، غير أن الأولى كانت تحتفي وتعول على الطبقة العمالية بينما الثانية (مدرسة فرانكفورت) كانت ترى أن الطبقة العمالية هزمت في ألمانيا وفي سائر بلدان أوربا إبان الفترة الفاشية وبالتالي لم ترى فيها أبدا موردا قويا للتغيير الاجتماعي التحرري. كان العمل الأول لمركز بيرمنغهام مستمرا مع راديكالية الموجة الأولى للدراسات الثقافية البريطانية (مذهب"" الثقافة والمجتمع"" لكل من هوغارد–ويليامز–تومبسون). أما العمل

الذي شمل مرحلة الثمانينيات وما تلاها من الدراسات الثقافية فقد أصبح أكثر عالمية من حيث التأثير وذلك استجابة لظروف سياسية وثقافية جديدة تلخصها ما يعرف بنظرية ما بعد الحداثة.

مقياس : الدراسات الثقافية

المحاضرة رقم 03

(3)سياسة التمثيل(Politics of Representation):

العمل الهائل لمنظري الدراسات الإعلامية النقدية مثل أولئك في مدرسة فرانكفورت ، الدراسات الثقافية البريطانية، البنيوية وما بعد البنيوية الفرنسية كشف أن الثقافة هي بالأساس بناء اجتماعي ، يرتبط جوهريا بتغيرات الوسط الاجتماعي والتاريخي المتعين الذي تم تصورها فيه. كان لزاما على الدراسات الإعلامية والثقافية أن تنخرط في سياسات التمثيل، والتي تقتبس من المقاربات النسائية والنظريات المتعددة الثقافات بهدف تحصيل تحليل كامل لوظائف الجندر، الطبقة، العرق، الإنتماء الإثني، الجنسية، التفضيل الجنسي، وما إلى ذلك...- وهي أبعاد اجتماعية حيوية في بناء النصوص الثقافية وتأثيراتها، كما أنها تدخل في تكوين الجماهير التي تستخدم و تتلقى تلك النصوص .

تبنت الدراسات الثقافية البريطانية، مثلا، بشكل تدريجي بعدا نسائيا، وأولت أهمية أكبر للعرق، الإثنية والجنسية، وذلك باعتبار ما كان رائجا من خطابات متنوعة عن العرق والطبقة والجندر والجنس ...استجابة للصراعات والحركات الاجتماعية. أوجد عالم متزايد الهجانة ثقافيا، وتزداد الجاليات فيه باضطراد الحاجة إلى فهم أكثر تطورا للتفاعل بين التمثيلات، السياسة، وأشكال وسائل الإعلام، ...وتقدم الأدبيات في هذا المجال تحليلات ورؤى من منظورات مختلفة على قدر كبير من الأهمية والأصالة والراديكاية لهذه الإشكاليات.

من الجدير التنويه أن أهم الدراسات الأساسية عن الثقافة الشعبية كانت من إنجاز أشخاص مهمشين، وأن هناك نزعة قوية في كثير من الدراسات الثقافية نحو الاتجاه النسائي، النظرية النقدية للعرق، ونظرية المثلية. بالإضافة إلى ذلك، أشار المنظرون النقديون في هذه الميادين إلى الطبيعة التقاطعاتية والبناء المشترك لمجالات من قبيل العرق، الجندر، والاتجاه الجنسي. تم بلورة مفهموم التقاطعاتية(intersectionalism)من قبل المنظر النقدي للقانون والعرق، كمبرلي كرينشاو(1991)، والذي صاغ التقاطعاتية البنيوية لأنظمة الجندر والعرق والتقاطع السياسي بدلالة الطرق المتداخلة والمترابطة للقمع السياسي. وتم توسيع المفهوم ضمن الدراسات النسائية والدراسات الثقافية للدلالة على العلاقات المتبادلة بين الاشكال المختلفة للقمع وتشكيل الهوية التي تشترك في بناء، تعزيز، وجمع بعضها بعضا.

مثلا، تحليل التقاطعاتية يمكن أن يصف كيف أن امرأة سوداء مثلية (تقاطع الجندر العرق والجنس) يتم بناء هويتها على نحو مشترك(co-constructed) بكل هذه المكونات الأساسية للهوية ثم ليتم تهميشها وقمعها بطريقة لا يمكن أن تنسب تحديدا لمجال أو لآخر.تتقاطع أيضا نصوص و تمثيلات ثقافة وسائل الإعلام في بناءها لخطابات وصور العرق والجندر والطبقة و الاتجاه الجنسي، ...وهكذا من أجل خلق أنظمة الآخروية(المتعلقة بالاخرotherness) والاستتباع و التي تبنى على نحو مشترك في تقاطعاتها بعضها ببعض. وعليه، صاغت الدراسات النقدية الثقافية/ الإعلامية تقاطع العرق، الطبقة، الجندر والاتجاه الجنسي، ومحاولات تجاوز التحاليل المختزلة والمجتزئة لمختلف الدراسات المقتصرة على ميدان واحد وفقط (مقابل الأولى)، منتجة تحاليل أكثر تركيبا والتي تأخذ بعين الاعتبار تقاطعات القمع على كل من المستويات الاجتماعية، الثقافية والفردية.

الاعتناق التحليلي والسياسي للطبقة، الجندر، العرق والميل الجنسي، وبناءهم المشترك جعل من الدراسات الثقافية محل خلاف وجدل، وتحديدا لما انقدت تيارات سياسة من داخل الدراسات الثقافية وبصورة حادة الاستتباع والسيطرة، بينما احتفت وأشادت بالمقاومة والصراع.

ربما من دواعي السخرية أن معارضة الدراسات الثقافية تنشأ وتقوم تحديدا على الاهتمامات الأساسية ونقاط القوة لهذا الميدان، والتي تشمل " سياسة التمثيل politics of representation" للجندر، العرق، الطبقة، الميل الجنسي وعلاقات مهمشة أخرى. اعتناق هذه المواضيع في الدراسات الثقافية ونقد التحيز الطبقي، الجنسي، العرقي، رهاب المثليين، وأشكال أخرى من المواقف والمشاعر السلبية أدت الى اتهام الدراسات الثقافية على أنها سياسية بزيادة، أو أنها مخلخلة للحدود الأكاديمية، باعتبارها تتناول قضايا السلطة، السيطرة، الجامعة، الدولة، أو القوة الإعلامية للشركات.

مثلا في مقالة **لورا مالفي** الموسومة **"**اللذة البصرية والسينما القصصية**"** والتي بلغت مرتبة العمل الكلاسيكي في الدراسات الثقافية النقدية، إذ تعرضت للمعارضة، والتحدي ومن ثم التعديل عبر السنوات منذ أول ظهور لها على الشاشة سنة 1975، تكمن أهميته في الإطار النظري الفريد الذي يعرضه من أجل تناول العلاقة بين الشخص المشاهد والنص السينمائي. باستعمال تصورات التحليل النفسي للشخص الفاعل(subject)سعى تحليل **مالفي** إلى استكشاف الطرق التي من خلالها تعمل التقنيات السينمائية على مخاطبة المشاهد كفاعل وتعمل على صياغة نظرة المشاهد للشاشة وفق النظرات القصصية للفيلم. قدمت مالفي تعديلا أو إظافة نسائية، باعتبار أن نظرة المشاهد في تحليلها تحيل إلى كونه ذكر. وتجادل **مالفي** أن الآلة السينمائية تعمل على شرعنة وإدامة نظام أبوي حيث موضوع النظر هو أنثى والناظر أو القائم بالنظر – الناظر الناشط- ذكر. في الوقت الذي نشر فيه عملها، وفرت مقالتها أداة جذرية لتحليل تمثيل الاختلاف والرغبة الجنسيتين في السينما. بعد أكثر من عشرين سنة من

ظهوره، تساءلت الانتقادات عن مدى صحة الثنائية التي طبعت حججها والجمود الذي طبع بناءاتها للجندر، وتبع ذلك صدور عدد معتبر من البحوث كرد فعل على التساؤلات والتحديات التي طرحتها هذه المقالة.

كان التمثيل(representation) والميل أو الاتجاه الجنسي(sexuality) (يراد به هنا غير الجندر،بل الأقليات الجنسية مثل المثليين وغيرهم) أيضا محل تركيز عمل ريتشارد داير **"**القولبة النمطية**"**(stereotyping) تناول **داير** مشكلة الإيديولوجية التي تعمل في التمثيلات الدارجة للأقليات الجنسية وغيرها من الأقليات في الفيلم ووسائل الإعلام الأخرى، مبينا القولبة النمطية بوصفها عملية هيمنة يتم عبرها الحفاظ على السيطرة من طرف الجماعات الحاكمة. غير أنه عقد القضايا البديهية للتمثيل السيء (misrepresentation)والتشويه بتساؤله عما إذا كانت الصور الأكثر واقعية أحسن من القوالب النمطية. قام **داير** بتوضيح الاستراتيجيات أو الاختصارات أو الاختزالات التي تتم القولبة النمطية بواسطتها، مثل استخدام الإيقونوغرافيا(استخدام الصور والرموز لتصوير فكرة ما)، البنى أو القوالب القصصية، التشخيص، وأنماط الأعضاء(عضو الأسرة، عضو منظمة أو مؤسسة، ...)، كما خلص إلى أن بعض طرق التنميط ترتبط بخصوصيات تاريخية وثقافية تحددها الجماعات والطبقات وعوائدها (dyer,1934,p.37)، وهو ما يحيل إلى هويات جماعية، تضامن سياسي، وصراع مجتمعي. ورغم بعده الزمني، إلا أنه عمل من الأهمية بمكان، كونه يتناول قضايا لطالما كانت عرضة للتجاهل تتعلق بالميل أو الاتجاه الجنسي ووسائل الإعلام، وهكذا كان عملا أساسيا وفر مدخلا لجوانب أساسية من الدراسات الإعلامية للمثليين (gay/lesbian media studies).

من جهة أخرى، كانت القوالب النمطية المتعلقة بتمثيل أفراد الجنسين الهجناء(غير المثليينheterosexual) لدى الطبقات الدنيا في صلب اهتمام جانيس رادوي Janice Radway ، حيث انغمس في بحث قراءات ربات الضواحي في وسط أمريكا، ودراسة شغفهم وولعهم بالقصص الغرامية، وهو نوع هابط. مدفوعا بحافز فهم الطريقة التي تترسخ بها الثقافة الشعبية في الحياة الاجتماعية لمستعمليها، أجرى رادوي بحثا إثنوغرافيا على نساء سميثتون ببنسيلفانيا، وقد كان بحثا نسائيا(feminist) ضمن الدراسات الثقافية والذي ركز على أهمية وسلطة ما يفترض أنها أشكال هابطة من الثقافة النسائية. بالنسبة ل**رادوي** ، وجهة نظر النساء اللائي تشكل **ممارساتهم** القراءاتية حياتهم وتحولها توفر طرقا لفهم ليس مجرد لذة الثقافة الشعبية ، ولكن قدراتها التقدمية الكامنة فيها ودورها في المعارك الاجتماعية الدائرة حول الاتجاه والسلوك الجنسي لدى النساء. مقتبسا من مقولة Angla Mc Robbie(1982) أن **"**التمثيلات تفسيرات**"** (representations are interpretations) بحث رادوي ما إذا كانت البناءات المقولبة نمطيا للأنوثة السلبية والذكورة العدوانية في القصص الغرامية تعيد موقعة النساء كضحايا أبويين، وما إذا كان مجرد فعل القراءة يشكل مقاومة بطرق لطيفة ناعمة ولكنها قوية.

تم تناول علاقات النظر، الميل أو الاتجاه الجنسي، والرغبة بشكل أكبر من طرف بيل هوكس Bell Hooks في عملها الموسوم ب" أكل الآخر eating the other"، والمأخوذ من " المظاهر السوداء: العرق والتمثيل black looks :race and reepresentation". كانت هوكس من أوائل الباحثات الأفارقة الأمريكيين من أصحاب الاتجاه النسائي الذين نبهوا للتقاطعات بين العرق ، الطبقة، الجندر، ومعالم أخرى للهوية في بناء الذاتية- إذ باكرا في مسارها المهني تحدت أصحاب الاتجاه النسائي بوجوب الاعتراف ومواجهة الطرق التي بواسطتها يطبع كل من العرق والطبقة تجارب النساء (وحتى الرجال).من الجوانب المهمة في عملها هو مزجها بين تحليل نظري ناضج من جهة وحساسيات ولغة الحياة اليومية من جهة أخرى. كان هدفها جعل النقد الاجتماعي والثقافي في متناول شرائح من الناس تتجاوز الفضاء الأكاديمي. يعتبر عملها هذا ممثلا لمقاربتها الفريدة للدراسات الثقافية.حيث سعت هوكس لاستكشاف البناءات الثقافية ل"الآخر" بوصفه مادة مرغوبة، رابطا هذا الموقف بالنزعة الاستهلاكيه والتسليع بالإظافة إلى الهيمنة والاستتباع العرقيين. وفي معرض تحذيرها من إغراء الاحتفاء ب" الأخروية otherness"(المتعلق بالاخرين). استخدمت هوكس منتجات ثقافية إعلامية مختلفة من قبيل كاتالوغات الألبسة، الأفلام، موسيقى الراب، لمناقشة قضايا التملك أو الاستحواذ الثقافي مقابل التقدير الثقافي ، ومن أجل كشف التناقضات الشخصية والسياسية الجارية في تمثيل وسائل الإعلام الجماهيرية.

موسعة ومعقدة لتحليل هوكس، تأملت باتريسيا هيل كولينس Patricia Hill-Collins للذكر الإفريقي الأمريكي. إذ عبر جمعها بين العناصر الدارجة: الاتجاه أو الميل الجنسي، الطبقة، والعرق،... جادلت هيل كولينس أن التصويرات الإعلامية للرجل الأسود تعمل على مقابلة السواد بالبيوضة على نحو يفضي إلى إدامة الحدود الاجتماعية ويرسخ اللامساواة الاجتماعية. تعمل هذه التمثيلات لبناء ما تدعوه باتريك رال(2002) Patrick Rael الكنايات العرقية حيث تستعمل"إساءات وخطايا القلة لتمثيل الطبيعة الأخلاقية لعرق بأكمله"(ص،179). في تحليل أشمل، انتقدت تصويرات انحراف الرجل الأسود المتراوحة من الشباب السيئين ذوي البنيات الجسدية القوية إلى المغتصبين إلى المثليين، لتخلص إلى القول أن في فترة ما بعد اللاتمييز العنصري تتطور "عنصرية جديدة " تعمل على تقييد مبادرة السود ونشاطهم.

يمكن أن تقتفى كتابات بول غيلروي Paul Gilroy الكثيرة عن العرق، الجاليات(الشتات diaspora) والهوية الوطنية إلى انخراط نقدي كثيف في ما يعرف بالدراسات الثقافية البريطانية. لا حظ غيلروي أن الشعبية الحالية لمفهوم "الهوية" في البحوث الأكاديمية تعود جذورها للدراسات الثقافية الأولى. وقد أبرز الطرق التي من خلالها كان موضوع الهوية حاضرا كفكرة ضمنية في أهم الأعمال على غرار "صناعة الطبقة العاملة الإنجليزية" لتومبسون أ.ب making the english working class.E.P. Thompson و ثقافة الفقير لريتشارد هوغارد Richard

Hoggart's Uses of Literacy ، والتي توفر طرقا لكيفية تصور الهوية في علاقتها بقضايا الوطن والطبقة. لكن غيلروى أشار أن غياب العرق في هذه الدراسات مثل مفارقة أو لغزا في هذه الأعمال باعتباره حاملا لهوية الطبقة وهو ما يؤشر لاختيار سياسي مقصود من طرف هؤلاء الكتاب الأوائل. ليخلص في نهاية عمله بالدعوة لتنظير للهوية، الثقافة، الوطن يأخذ بعين الاعتبار تاريخ الاحتلال، الهجرة، الاقتصادات العابرة للأوطان، والتعددية الثقافية الجديدة. يعتبر عمله خطوة أولى نحو انخراط جد متقدم ومركب مع العرق والوطن، والتي أثرت على ما تلاها من أعمال غيلروي و قطاع كبير من غيره من باحثي الدراسات الثقافية الأمريكان والأوربيين وفي العالم قاطبة.

كما أثارت شاندرا موهانتيChandra Mohanty قضايا أساسية كالوطن، الهوية والسلطة في عملها الكثير التداول والهائل الصيت " تحت أعين غربية under western eyes".ورغم أن هذا العمل لم يكن موجها تحديدا لتناول الثقافة الإعلامية، لكنه طرح نقدا وجيها أن يعتبر في أي نقاش لسياسة التمثيل. تتحدث موهانتي عن عملية الاستحواذ والتشفير ل" نساء العالم الثالث" من قبل الجماعة الأكاديمية النسائية الغربية، مذكرة إيانا أن العالم الثالث أكثر تعقيدا وتنوعا وذو اشكال أكثر تعددا مما تسمح به البناءات المسيطرة. حتى الخطابات ذات الاتجاه النسائي المفترض أنها تقدمية تنزع وتنتهي عادة إلى الاختزال وعدم مراعاة السياق والتاريخ– أي الزمن– فيما يتعلق بما تدعوه موهانتي " خصوصصية العالم الثالث". ورفعت موهانتي، كما هوكس، تحديا مهما في وجه مفهوم مفاده أن فئة المرأة يمكن تناولها بمعزل عن عوامل الطبقة، الإثنية، والمواقع العرقية. يعود اعتراضها إلى " التلبيس بين 'النساء' كجماعة مبنية جدلا ...و 'النساء"كفاعلات ماديات في سياق تاريخي محدد...". وفي جدالها من أجل فهم مؤسس تاريخيا وثقافيا لمختلف تجارب المرأة، قدمت موهانتي قضايا نظرية ومنهجية مهمة والتي تفرض علينا تحدي الهيمنات و اختلالات علاقات السلطة في الدراسات الثقافية وأيضا في الميادين العلمية العامة.

تذكرنا موهانتي أن التغييرات الاجتماعية والسياسية لها تداعيات أبعد من حدود الدولة الواحدة. بالضبط مثلما أقر مالفي، هوكس، غيلروي، بالطبيعة المتعددة المستويات، العلاقاتية المتفاعلة، والهجينة للتمثيل العرقي والجندري في الولايات المتحدة ، عملن ستور غارسيا كانكليني Nestor Garcia Canclini حثيثا على فهم نتائج لامركزة الدولة الوطنية وتأثير الثقافات مابعد الحداثية، مابعد الوطنية العالمية على الإنتاج الثقافي في أمريكا اللاتينية. في الدراسات الإعلامية التقليدية، أدى وضع الانتماء للعالم الثالث لأمريكا اللاتينية المتجلي في التبعية الاقتصادية إلى "نظريات الإمبريالية الثقافية"حيث نظر إلى الولايات المتحدة على أن لها أثرا هيمنيا وتدميريا هائلا على إنتاج الثقافة المحلية لجيرانها في الجنوب. غير أن الأعمال الأخيرة للباحثين في أمريكا اللاتينية عرفوا الأممية (transnationalism)

على أنها دعوة لمنظورات بحثية جديدة؛ فالأسواق والتكنولوجيات الجديدة ليس لها تأثيرات قمعية فقط، يجادل هؤلاء، بقدر ما تفتح مجالا وتوفر فرصة للإنتاج الثقافي المحلي والجهوي والذي يزخر بقدرات تقدمية.

الأطروحة التي تمثل مراجعة" الفرار من التبعية" تمت صياغتها من طرف كالسيني في عمله الموسوم" ثقافات هجينة وقوى خفية". مع أخذه بعين الاعتبار ممارسة السلطة بين العالمين " الأول" و" الثالث"، يجادل **غارسيا كاكليني** أن وسائل الإعلام الجماهيرية لم تمح أشكال التعبير الثقافي التقليدي في أمريكا اللاتينية، بل بالأحرى ساهمت في إعادة تشكيل أزاحت طرق التفكير القائمة حول الثقافة. ترتبط إعادة التشكيل هذه بتحولات اجتماعية متنوعة أخرى، يشمل ذلك اتساع المناطق الحضرية، تراجع السلوك العمومي الجماعي، ومشاريع التغيير السياسي غير المكتملة في كثير من دول أمريكا اللاتينية. تمثل وسائل الإعلام نوعا جديدا من الفضاء العمومي بوصفها تعمل على تحقيق الإدماج في مجتمع متفكك. لدى مقابلته بين الثقافة الإعلامية والرموز التقليدية للحداثة- البنايات المميزة والمتاحف- ركز **غارسيا كاكليني** على السؤال الأساسي وهو كيف تعمل الشبكات الجديدة والكثيفة للقاطعات الاقتصادية والأيديولوجية، وما يتولد عنها من أشياء هجينة وتدهورات، على إعادة تشكيل علاقات السلطة.

وهكذا تركز سياسة التمثيل على توجيه الاهتمام لحقيقة أن الثقافة تنتج ضمن علاقات السيطرة والاستتباع (subordination) كما تعمل على إعادة إنتاج أو مقاومة بنى السلطة القائمة. يوفر هكذا منظور أيضا للدراسات الثقافية أدوات يمكن النقد من خلالها على كشف وإدانة جوانب من النصوص الثقافية التي تعيد إنتاج أشكال السيطرة الطبقية، العرقية، الجندرية، وغيرها من أشكال السيطرة، كما تثمن الجوانب التي تزعزع السيطرات القائمة، أو ترسم أشكال المقاومة والصراع ضدها.